المنجز الشعري المعاصر واتجاهاته بمنطقة غرداية

مسعود خرازي
جامعة غرداية

مقدمة:

حديث عن الشعر في غرداية من 1925م /1962م:

لم تخل الساحة الأدبية والشعرية بمنطقة غرداية من النشاط منذ مطلع القرن العشرين إلى يوم الناس هذا، إلا أنه يتفاوت من حيث فعاليته من فترة لأخرى، وقد توصف مرحلة ما قبل ظهور الحركة الإصلاحية ببعض الضعف، لما كانت تعانيه الثقافة العربية الإسلامية من إهمال؛ بعضه راجع إلى العهد التركي، ومعظمه كان من نتاج الممارسات الاستدمارية الفرنسية بمختلف وسائل التدمير من تجهيل، وتمسيح، وتغريب، وتشويه[1]، مع حضور ثقافة دينية واسعة وجهت الأدب عموما، والشعر خصوصا نحو وجهة تقليدية تعليمية، لا نعدم مساهمتها في إعداد جيل يتقن أبجديات الحفاظ على مكاسب اللغة العربية، والحرص على التمسك بالهوية الوطنية.

ونعتبر أن جهود الشيخ امحمَّد بن يوسف اطفيش المعروف بقطب الأئمة (1818م-1914م) قد أعدت لتلك الهبة الإصلاحية والأدبية في إقليم غرداية والجزائر والعالم الإسلامي، فأثمر جهاده بإعداد جيل من الأدباء والشعراء والعلماء الذين واصلوا مسيرة التنوير تحت لواء الحركة الإصلاحية ابتداء من سنة 1925م؛ التي تعتبر فاتحة التحديث الأدبي والإصلاحي في الجزائر؛ الذي سيساهم في ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م؛ إذ كان لها دور بارز في تشكيل الوعي التحرري الذي سيمتد وميضه بعد ذلك في مسيرة الجزائر الثقافية والتحررية، وكان لبعض علماء غرداية المنضوين تحت لوائها دور بارز في تنوير الرأي العام كالشيخ أبي اليقظان، والشيخ بيوض، والشيخ عبد الرحمان بكلي، والشيخ سليمان بن داود ابن يوسف، كما أسهمت الصحافة الوطنية بشكل لافت في بلورة هذا الوعي بعديد جرائدها التي كانت الوجه الحقيقي لواقع الجزائريين،

الرافضين لكل أشكال القهر والتخلف، كالمنتقد والشهاب والبصائر وصحف أبي اليقظان الثمانية، وغيرها، كما لا نغفل الدور العربي والإسلامي الذي ما فتئ يسهم في دفع الجزائريين إلى التنوير والتحديث؛ كالدور التونسي من خلال جامع الزيتونة، ومدارسها، ونواديها الأدبية التي ضمت العديد من وفود الطلبة الميزابيين، والمغربي من خلال جامع القرويين، والمصري من خلال الأزهر الشريف، مما أعدَّ جيلا رائدا من المصلحين والأدباء والشعراء والسياسيين من مختلف أنحاء القطر الجزائري الذين رفعوا راية الجهاد عالية، وكان للنوادي والمدارس الحرة والجمعيات الإصلاحية كجمعية الإصلاح بغرداية، وجمعية الحياة بالقرارة دورها في إعداد الأجيال التي ستواصل بإخلاص مهمة تحرير الإنسان الجزائري من كل أشكال الهيمنة والتبعية والتغريب، وفي هذا الحراك الثقافي والنضالي والإصلاحي سعت أسماء كثيرة منا الأدباء والشعراء في مواكبة الأحداث، والتفاعل معها بمنطقة غرداية خاصة والجنوب الجزائري عامة، من أمثال الشاعر إبراهيم بن عيسى حمدي المعروف بأبي اليقظان (1888م – 1973م) أحد تلاميذ القطب، وحمو بن الناصر الداغور المعروف بكروشي (1892م – 1914م)، والشيخ عبد الله محمد بوراس المعروف بالكاملي (1904م – 1984م) ورمضان حمود (1906م – 1929م)، ومفدي زكريا (1908م–1977م) والشيخ محمد علان (المتوفى 1943م) ومحمد بن إبراهيم الطرابلسي البرياني (1887م – 1948م) وإبراهيم بن نوح متياز اليزجني (1885م – 1981م) وعبد الرحمن بكلي المعروف بالبكري (1901م – 1986م) وحمو محمد عيسى النوري (1914م – 1992م) وأبي الحسن علي بن صالح القراري (1906م – 1988م)، وأسماء أخرى قد لا يتسع المقام لذكرها، وقد أحصاها معجم أعلام الإباضية من خلال تراجمه لأكثر من ألف علم من أعلام المغرب الإسلامي. ويعتبر هؤلاء من الجيل الأول للشعراء الذين تركوا بصماتهم في الحركة الشعرية الجزائرية بالمنطقة، والتي تجاوز فيها البعض حدود منطقتهم إلى الجزائر عامة، والذين حاولوا أن يكونوا صورة للمجتمع المحافظ الرافض لكل أشكال التغريب شكلا ومضمونا، وامتد هذا التيار إلى شعراء آخرين من أمثال صالح خرفي، ومحمد الطيب بوعبدلي، وصالح خباشة، وقبل الحرب العالمية الثانية (1944م) وأثناءها وما تلا ذلك

في وقائع مجزرة 08 ماي 1945م، إلى قبيل اندلاع الثورة التحريرية المباركة، والتي أفرزت واقعا جديدا متسما بالتشاؤم من التردي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وظهر ذلك جليا في النصوص الشعرية؛ إذ " في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الجزائر أخذ الشعر على عاتقه الدعوة إلى الوحدة الشعبية والوطنية النقية، وإلى التحرر من الماضي البغيض ونسيان الذات في سبيل المثل العليا، كما أخذ شعر البناء يواجه العدو بشيء من الصراحة والتسديد، ويبشر بما في الجزائر من الطاقات مذخورة وما فيها من خصائص تميزها وتجعل منها شخصية نموذجية"[2]، وتطور الأمر بعد مجزرة 08 ماي 1945م ليكون سببا بارزا من جملة من أسباب تفكير الجزائريين في الكفاح المسلح، ومن هنا ظهرت على الساحة الشعرية والأدبية بغرداية أسماء خلدت حضورها في تاريخ الجزائر الحديثة، كمفدي زكريا الذي سيكون بعد ذلك رمزا خالدا، وأبي اليقظان، وصالح خرفي (1932م – 1998م)، وإبراهيم أبو حميدة، وصالح خباشة، وإبراهيم بن يحي الحاج أيوب المعروف بالقرادي (1923م – 1989م) وعبد الله بن محمد كنطابلي (1930م – 1987م)، وأحمد أوبكة، وناصر بن محمد المرموري (1927م – 2011م)، وصالح باجو، الذين نحوا منحى الأوائل على خطى التقليد، ولا يزال بعضهم حيا يواصل الفعل الإبداعي دون أن تؤثر فيهم تجارب التحديث المنتهجة عبر الفترات التي عايشوها، " وهو تيار إن لم يجدد في الشكل فقد كانت له إسهامات كثيرة معتبرة على مستوى المضامين والقضايا خصوصا بعمقها الإصلاحي والنضالي"[3]، وآخرون لو يلتفت إليهم الدارسون سيجدون فيهم حضورا شعريا جزائريا مهما، ذهبوا ضحية التجاهل والانتقائية والبعد عن مراكز الأضواء، كما ظهرت بعض ملامح الذاتية ذات البعد الرومانسي بشكل محتشم؛ عند رمضان حمود الذي يعتبره النقاد أبرز علم شعري لهذا التيار التجديدي في الجزائر عامة، إلا أن الشاعر بغرداية لم يستطع أن يتخلص من محافظته التي تلازمه حتى على المستوى الإبداعي، فعالج قضاياه الذاتية في امتزاج كلي بالمشاعر العامة لمجتمعه، وبالطريقة التي ألفها متأثرا بالنزعة الإصلاحية التي تنحو في عمومها منحى التفاؤل، والنظر إلى المستقبل بنظرة جادة تسعى إلى الإصلاح والتغيير الهادف، ولم يكن من ذوي النزعة الرومانسية التشاؤمية أو الأنانية التي عادة ما تحوم حول

أصحاب هذه الاتجاه، ويكون بذلك رمضان حمود الشاعر الوحيد ذا النزعة التجديدية بغرداية في عهده، ولم يكن الأمر ظاهرة عامة، بينما تبقى المحافظة والتقليد السمة الغالبة التي يمكن أن تدرس في شعر المنطقة رغم كل أشكال التطور التي ستظهر لاحقا على الصعيد الاجتماعي والفني.

وكانت بذلك منطقة غرداية من المناطق التي ساهمت إبداعيا في أداء دورها الإصلاحي والنضالي والكفاحي والأدبي على غرار باقي المناطق الجزائرية الأخرى، وبنفس الفكرة والتوجه من أجل جزائر موَّحدة، وتشهد لهم بذلك النصوص الشعرية رغم التفاوت الإبداعي الموجود بينها.

الشعر الجزائري المعاصر بغرداية: 2012/1962م:

إن اختيارنا لموضوع الشعر الجزائري المعاصر (منطقة غرداية أنموذجا)، المتراوح بين 1962م – 2012م: لهذه الدراسة نابع من إشكالية عدم التفات النقاد إلى الطاقات الإبداعية في الجزائر العميقة، ومن هنا سنقسم الفترة إلى اتجاهات، وكل اتجاه يتفرد بخصوصيات تجعله يكتنز صنوفا من التميز يعطي صورة جلية عن الشعر الجزائري المعاصر في هذه الربوع.

واخترنا منطقة ولاية غرداية عينة للبحث؛ لأنها قطب ثقافي مميز يسجله التاريخ الجزائري القديم والحديث، كما أن المجال الأدبي يؤكد ما لهذه الجهة من دور ريادي في تفعيل الساحة الأدبية الجزائرية من خلال رموزها ذات الصيت الواسع، وغرداية وفق التقسيم الإداري 1984م تمتد من القرارة إلى حاسي القارة بالمنيعة، تمتلك من الزخم الثقافي والأدبي ما يجعلها تستقطب الباحثين والدارسين وخاصة من لدن أبنائها، وهذا العمل الإقليمي فرصة لتوزيع الجهد خدمة للأدب الجزائري العام، حتى لا تبقى الأصوات الأدبية بها حبيسة النسيان والإهمال.

إن هذه الرقعة من الجزائر العميقة التي لم تبخل يوما عن الإسهام الحضاري، حريٌّ بنا أن ننقب عن كنوزها العلمية والأدبية، ولعل مثل هذا النوع من الدراسات سيساهم في نقل الصورة الحقيقية للأدب الجزائري المتنوع والثري توحيدا للرؤيا من جهة، واختزالا لكثير من العقبات التي لم

تستطع السياسة حلها من جهة أخراة؛ بحثا عن المساهمة الجادة في مواصلة مسيرة البناء الحضاري بالتقارب، وشجاعة تقبل الآخر، ومقاومة الرداءة بشتى صورها القاتمة، وكان لا بد من معرفة أنواع الشعر التي تناولها الشعراء المعاصرون في غرداية على غرار شعراء الجزائر عامة؛ من العمودي بنوعيه التقليدي الكلاسيكي، والتجديدي الوجداني الرومانسي، مع ما يتخلل ذلك بين الفينة والأخرى من شعر التفعيلة كما يظهر ذلك عندهم، وامتدت المعاصرة إلى أن مارس بعض الشعراء طقوس كتابة قصيدة النثر، مع إبراز أهم القضايا التي تناولوها، والتي تتقاطع في معظمها مع ما تناوله الشعراء في الجزائر عامة، من وطنية وإسلامية وقومية وإنسانية وحضارية، ومنها ما كان وليد ظروف محلية أو ذاتية محضة تبعا لخصوصيات المنطقة علما أن لكل منطقة ظروفها الخاصة، ولكل شاعر قضاياه الذاتية.

اتجاهات الشعر المعاصر بغرداية:

1/ التقليدي المحافظ:

لا يزال الشعر في منطقة غرداية كلاسيكيا يدرج على المحافظة؛ فهو نتاج بيئة شديدة التمسك بالقيم التي تحفظ لها دينها وعاداتها وتقاليدها، فتقمص الشعر مبادئهم، وطغى الجانب الوعظي التقريري المباشر على الفن، وما ينتج عنه من رمز وصور، فتقمص الشاعر دور الواعظ والموجه، وعالج الشعراء موضوعات محلية ووطنية وإسلامية وعربية وإنسانية، وكانوا مسايرين لجميع ما يدور في محيطهم وخارجه، واستطاعوا أن يعبروا عنه بطريقتهم الخاصة إلى جانب ثقافتهم السلفية، وتعلقهم بالأدب العربي القديم، وتأثرهم بمدرسة الإحياء العربية، وخاصة مع الرعيل الأول من الشعراء الذين لا يزالون يمارسون العملية الإبداعية على تقدم سنهم؛ من أمثال أحمد أوبكة، إبراهيم أبو حميدة، صالح خباشة وصالح باجو، أو من الذين توفاهم الله؛ مثل ناصر محمد المرموري، عمر إبراهيم علواني وغيرهما، ذلك "إن الرؤية التقليدية جعلتهم يتعاملون مع اللغة تعاملا وظيفيا يقتصر في الأغلب الأعم على استغلال جانبها المعجمي ذي الدلالة المحددة، وقلَّما وجدنا شاعرا من هؤلاء يستنفذ ما في الكلمات من طاقة باستغلال

جانبها الجمالي مستثمرا ما تولده من إيقاع وصورة وظلال"[4]، ولم يكن عندهم الفن إلا خادما طيعا تابعا للوظيفة الإبلاغية، وظل الشعراء حتى بعد الاستقلال تقليدين ذوي لغة مباشرة همهم وظيفة الشعر في الحياة والمجتمع، ودور الشاعر في التوجيه في حدود ظروفه السياسية والاجتماعية، واتخاذ الشعر وسيلة نهضة ورقي، وتبقى قضية الفن عنده مؤجلة أو في الدرجة الثانية[5]، ومن أمثلة شعر هذا المنحى ما نجده عند الشعر حمو بن محمد عيسى النوري، مبديا مشاعره نحو شاعر الثورة مفدي زكريا في إحدى قصائده، وهو الشاعر الذي مات بعيدا عن أهله ووطنه بتونس في رحلة من رحلات المنفى سنة 1977، مبرزا مآثره بقوله[6]:

منحت الجزائر شعرا قويا يفور اعتزازا بقلب الجزائر

به كنت شاعر هذا الشمال و في معجزات له و مآثر[7]

و كنت حقيقا به قلبه تحدى الزمان بشعر مكابر

وينهي قصيدته بنداء متَّشح بحزن، لكن في كبرياء؛ لأنه رجل وهب حبه إخلاصا لبلاده، فكان العبقري الذي حمل رسالة هذا الحب إلى الأجيال، وهو إن دفنوه ببلدته يسجن فإنه يبقى حيا في قلوب الجزائريين:

فيا زكرياء نم نوم حر سما برسالته في العباقر

لئن أودعوكم بيسجن رمسا فقد أسكنوك حنايا الجزائر[8]

وفي السياق التقليدي نفسه نجد الشاعر أبا الحسن علي بن صالح القراري يستحضر حسَّه الإسلامي في إنسانية رفيعة، مبديا تأثره بما يعانيه الفلسطينيون جراء غطرسة العصابات الصهيونية الذين يدنسون بيت المقدس، مشيدا بصبرهم، وبما يقاسونه من شقاء، مستخفا بمجلس الأمن ووعوده[9]:

قسما بعاصفة الجهاد الأقدس و بفتحه و ذرى جبال الأطلس

لنحطمنَّ عصابة النازين و الـــ باغين من عاثوا ببيت المقدس

منيت فلسطيـــن الجريحة بالأذى من عهد بلـــفور الدني الأنحس

وتألب الأشرار فانقضوا على الشـــ عب الفلسطيني الأبي الأكيس

بمآمرات الغـــدر حاك خيوطها أيدي الخيانة في ظلام أطلسي

فاللاجـــئون مُنُوا بـــأنكى نكبة تحت الخيام على صعيد أيبس

عـــشرون عاما في الشقا ينتابـــهم فـــقر و تشريد بـــليل مبلس

وبـــمجلس الأمـــن الهزيل تبخرت آمـــالهم هل من رجا في المجلس؟

ومن الشعراء الذين أبرزوا حسا إسلاميا، وتمـــسكا بالوحـــدة الوطنيـــة، الشاعر سليمان دواق الذي لا يخرج عن مسار الـــشعر المحـــافظ، ولا يـــزال إلـــى اليوم يواصل مساره الإبداعي، وها هـــو يرحـــب بزيـــارة وفـــد جمعيـــة العلمـــاء المسلمين الجزائريين لغرداية بمناسبة الذكرى الرابعـــة والـــسبعين مـــن تأسيـــسها، وذلك في ماي 2005م، مشيدا بجهودهـــا وبمواقفهـــا التاريخيـــة وبـــالخلف الـــذي يواصل رسالتها الخالدة تقربا إلـــى الله تبـــارك وتعـــالى، وبـــشجاعة لا تهـــاب ولا تلين للعدو الكافر، وهي الجمعية التي تبنـــت شـــعار العلـــم فـــي إطـــار المبـــادئ الإسلامية، وقد وقف ضدها العدو الفرنسي بكل ما يملك من وسائل القمع[10]:

مرحى بوفد للأكارم مرحبا جددتم عهدا عظيما طيـــبا

مرحى بكم خلفا لنخبة أمة حملت شعار العلم نبلا أحْقُبا

حملته مزدانا بـــدين مـــحمد تدعو إليه عبادة و تقـــربا

حملته في زمن تعذر حـــمله فيه الكثير عن الهداية قد صبا

ضعفا و خوفا من مقامع سلطة دانت بكفر لا تسالم من أبى

تلكمْ – و أيم الله – نخبة أمة نالت بفضلهمُ الجزائر مكسبا

ولا يختلف عن الشعراء السابقين الشاعر غزيل بلقاسم بن محمد وهو من جيل التسعينيات وبداية الألفية الثالثة، الذي يحيلنا شعره على القاموس العربي القديم، وفي حفاظ تام على القصيدة العربية بشكلها التقليدي، فنجده حريصا على إظهار الشخصية العربية الإسلامية الحقيقية، وهو في الأبيات الموالية يقف موقف الواعظ في لغة تقريرية مباشرة، يبرز فيها ما يجب على الإنسان أن يفعله كي ينال المجد، مستلهما قصيدة الإمام الشافعي التي مطلعها[1]:

دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفسا إذا حكم القضاء

ولا تجزع لحادثة الليالي وما لحوادث الدنيا بقاء

وهو ينسج على منوالها بنفس رويها وبحرها الوافر التي يفتتحها بقوله[12]:

بناةُ المجد حسبهمُ البناء وصون المجد يضمنه الوفاء

وما بالخلف تقتلع البلايا وبالإخلاص نبلغ ما نشاء

دروب العز مسلكها طويل و بالإقدام ينتصب اللواء

ذرى الأمجاد غاية كل حر ومركبها الشهامة والفداء

فشيِّد بالمكارم مجد قوم فما الأمجاد يصنعها الغباء

وكن بالعلم والأخلاق شهما تفز بالفضل يغمرك العطاء

2 / الاتجاه التجديدي الرومانسي:

عندما تشتد ظروف الخناق على الحريات، وينتشر الظلم، ويجد الإنسان نفسه مكبلا بقيود الاستصغار، ووعود فرنسا الكاذبة المخيبة للآمال فإن ذلك مدعاة إلى الثورة والرفض، وهو الأمر الذي جعل الشاعر الجزائري يجسد ذلك في نصوص تصور هذه الآلام، والمعاناة، مع ماكان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من دور رائد في إيجاد آليات للتغيير وفق متطلبات الفكر الإسلامي المعتدل الذي فتح آفاقا

للتفاؤل، فوجد الشعراء أنفسهم مطالبين بالإشادة بهذه الجهود، إلا أن الحياة ما تنفك تقف أمام المبدع الذي يريد أن يطوعها للخير فيصطدم بالواقع الذي قد يعيقه لتنتج عن ذلك معاناة جراء أساليب الاستدمار من جهة، والتخلف الاجتماعي من جهة أخراة، فاتجه الشاعر الجزائري صوب نفسه مفصحا عن آلامه وآماله، وما أن اندلعت ثورة التحرير حتى انطلق مشيدا بها، متلمسا طرق الأمل في تغيير أوضاعه، فظهرت تلك الرومانسية الثورية التي تتغنى بالجزائر وبإنجازات الثورة الخالدة، ولا يخفى دور شعراء منطقة غرداية في هذا المجال؛ فمنهم من نال حظه من الإعلام بما فرضه من حضور، مثل مفدي زكرياء، وصالح الخرفي وصالح خباشة، ومنهم من بقي اسمه حبيس الصمت والنسيان.

وما أن حل الاستقلال واستبشرت النفوس مهللة به، راح شعراء غرداية يواكبون هذا التحول نحو عالم جديد يعد بالتطور والانطلاق والحرية والأمل في غد أكثر إشراقة، وظهر هذا جليا في أساليبهم التي بدأت تصطبغ بألوان الرومانسية، تشرئب روحهم نحو حياة معاصرة، دون أن ينسلخوا عن أصالتهم، فكانت رومانسية وديعة حتى في حالات نقدية لبعض المظاهر التي قد لا تتماشى وما يتوق إليه الشاعر، فكان التفاؤل ديدنه، والمحافظة على الموروث والانقياد له من أولوياته، والحرص على التعبير عن مشاعره في جو من المسالمة وعدم الاصطدام مع الثوابت دينيا واجتماعيا، وعلى العموم فإن رومانسية شعراء غرداية المعاصرين كانت رومانسية تفصح عن ذلك الحب العارم لمعشوقتهم الجزائر دون غيرها من الفاتنات، وفي بعض أشعار محمد ناصر هذا النزوع الرومانسي نحو بلاده التي يتوق إليها وهو بعيد عنها، يعاني مرارة الغربة عندما كان طالبا بالقاهرة سنة 1962م، فنراه يبدي فرحته بالاستقلال، يمزج بين لغة الثورة المنتصرة، والطبيعة التي يجب أن تكون بديلا عن مظاهر الموت والدمار والعنف الذي مارسه المستدمر في حق الجزائريين، ويتغنى بالحرية التي هي مطلب الإنسان الحر في كل زمان ومكان، داعيا إلى اغتنام فرصة الحياة السعيدة التي قطع المجاهدون فيها يد الاستدمار فانتعشت الحياة بكل مكوناتها، مستمسكا بالله ثم بالأمل الذي بسط جناحيه على كل القلوب[13]:

أطـلس المعـجزات إيـه فهذا قـبسُ النـصر في ربوعك سافرْ
فدع الصـمت جانبـا و تـرنم بخريـرٍ مـن الميـاه و طـائرْ
و أزلْ حُمْرَةَ الدمـاء و دمـعا باخضـرار مـن الأجـنة نـاظرْ
عطِّـر الجـو بالأريج فإني عفت ريح (البرود) كم كان عاكرْ

فابشري يا رُبـى البـلاد فـإنا قـد قطعـنا يد (الكلون) الغادرْ
تربـةٌ حُـرَّةٌ و مـاءٌ طليـقٌ و هـواءٌ مُضَمَّـخُ العطر آسرْ
يزدهـي التين و الكروم و يسقي بجـباه سمـراء تفـدي الحَـرَائرْ
و يمـيل الـزيتون للسـلم نشوا ن يـُحَيِّي الفـلَّاح إذْ عاجَ آمرْ
يحمل الفأسَ و العزيمةَ و الـحبَّ و قلبًا بقـدرة اللـه عـامرْ
و قـطيعُ الأغنـام خـف سريعا نحو ماء الغدير في الصبح باكرْ

وفي سياق آخر من الرومانسية عنـد شـاعر مـن شـعراء غردايـة المعاصرين، نجد عبد القادر اجقاوة في ديوانه "عـذابات الأمـل"، وفـي قـصيدته "مزامير الحب"؛ يتغزل فيها بالجزائر وفي أرقى لغة للحـب؛ لغـة صـافية سـهلة بسيطة راقية تجد سبيلها إلـى القلـوب، وهـو يعرضـها علـى نمـط القـصيدة المقطعية " أو ما يسمى بالـشعر المرسـل الـذي يبقـي علـى الـوزن ووحدتـه والتخلص من نظام القافية الموحدة لما يُرى فيها من تقييـد للـشاعر ووقـوف فـي سبيل تأدية المعاني والأخيلة والعواطف والأفكـار"[(14)]، وهـي قـصيدة رومانـسية بالغة، ملتحمة بالطبيعة في شمسها، وصـحوها، وورودهـا، ورمالهـا، ونخيلهـا، ونسماتها، وخرير ماء سواقيها، ونغمة طيرها، وومـضة وردهـا، كـل ذلـك تـم برومانسية حالمة آملة متفائلة، وهو بدون جزائره لا يـستلذ الحيـاة، فهـي فاتنتـه، وقبلة الشعر، ودليله في رحلة الحياة:[(15)]:

جزائـــر يـــا فتنـــة الفـــاتنات و يا قبلة الشعر عند الصلاة
صحبتك في رحـــلتي للحيـــاة بـــدونك لا أستهيـــم الحياة
إذا الشمس تشرق كل صباح فابســـمك يُجدل نور الإياة[16]
و في الضحى كنت ورودا مرايا تضـــيئ لـــدي ذه الكـــائنات[17]

ويضيف مستعرضا أبعاد تعلقه بوطنـــه الجزائـــر مـــن خـــلال جنوبـــه، وما يحمل من معطيات طبيعية تثير فيه دواعي الهيام:

هنا في بهاء رمال الجنـــوب و في غنجة الشمس عند الغروب
و في رعشة النخل حـــين تمـــيل تهدهـــدها نســـمات الجنـــوب
و عند أنين خرير السواقي و في نغمة الطير حين تؤوب
و في ومضة الورد لما يشع ابـــ تســـامـــا و فـــكري يـــذوب

وفي جو من الرومانسية نجـــد الـــشاعر المعاصـــر فـــي غردايـــة يعمـــق صلته بالجزائر، أو بـــشيء مـــن مكوناتهـــا، فـــي إطـــار المحافظـــة علـــى القـــيم والثوابت، وهي بذلك رومانـــسية واعيـــة متفائلـــة؛ فهـــا هـــو الـــشاعر عمرهيبـــة يذكرنا بقول شاعر تونس أبي القاسم الشابي فـــي إحـــدى قـــصائده التـــي يختمهـــا بقوله[18]:

إلى النور فالنور عذب جميل إلى النور فالنور ظل الإله

وعلى ضوئها يمارس الشاعر "هيبـــة" طقـــوس الوجـــدانيات مـــستلهما دور جمعية النور[19] بقصر بنورة، والتـــي دأبـــت علـــى تعلـــيم الـــنشء، وبعـــث قـــيم الوعي في المجتمع المحلي، مبديا تقديره لهـــذه الجهـــود التـــي تـــسهم بهـــا هـــذه الجمعية في خدمة الصالح العام، وتم له ذلـــك فـــي لغـــة رقيقـــة بـــسيطة هامـــسة

بجملة من الاستفهامات، الغرض منها إبــداء الــولاء العــاطفي لتلــك المبــادرات التي تبعث الأمل في النفوس بحثــا عــن النــور الــذي يقــاوم ظلمــات الحيــاة، والمتمثل في العلم[20]:

ومن شعراء جيل التسعينيات بغرداية الشاعر " أحمد الأمين " الذي ملأ الساحة الشعرية بقصائده الرومانسية الحالمة، مع ما تحمل من مشاعر الانكسار لما كان يلاقيه من مصاعب في الحياة بمختلف أنواعها، ولم يستطع قلبه أن يقاومها، فرحل عن عالمنا هذا في ريعان شبابه سنة 2009م، وقد حاول في قصيدته الموسومة ب" موقف شعري" أن يبين رأيه بتعبير وجداني رقيق موقفه من قضايا الشعر بمفهوم حديث، فهو يراه فطرةً وانسيابا وإيقاعا وخيالا وقوافي تنساب في جمال وكفاءة[21]:

فطرة الشعر شعور وانسياب و ظلال
فوق إيقاع الموازين يناجينا الخيال
و القوافي سابحات في تقاسيم الجمال
دون عجز أو هروب يستوي جزل المقال
إنه الشعر الخليلي لم يزل رهن السؤال

ويواصل بيانه بتحديد موقفه من الشعر بكلمات رقيقــة تتبــئ عــن حــب

إلى النور فالنور سر الحياة ... إلى النور فالنور ظل الحياة
و تسألني مــا الصبا ؟ ما الجمالْ ؟ ... و ما الورد؟ ما لمعان الجباهْ؟
بــريق العيون و ما سره ؟ ... أجيبك: نــور و ليس سواه
هو النور في القلب في البسمات ... و في كل نفس صفاء الحياة
يقدســه الأقــدمــون جــلالا ... و قــدُّم قربانهم و الصلاة
أليــس عجيــبا نــراه و نحن ... على غسق الليل أو في دجاه؟
يطالبني الفجــر أغلى القصاص ... لأنــي سلــبتُ جمــال ضياه
و صغت من النور فجــر الحياة ... و مدرسة النــور أُفق سماه

عقلي للشعر؛ فهو عنده مبدأ، ودين، وعقيــدة، وتفاعيــل عتيــدة، وفكــر متجــدد، وهو أيضا تزاوج جميل بين جمال الشكل وقــوة الفكــرة، وموقــف تجديــد أكدتــه النظريات الشعرية الحديثة بعيدا عن ما بينــه قدامــة بــن جعفــر قــديما فــي أن الشعر هو الكلام الموزون المقفى:

قلت إن الشعر عندي مبدأ دين عقيدة

بين أحضان القوافي و التفاعيل العتيدة

أبدع الرسم بلا عجز تلاوين جديدة

إنما الشعر امتداد لاعتبارات عديدة

كلها أوتاد فكر تتجلى في القصيدة

وليس الشعر عنده أوزانا فقط في مستواه التشكيلي، وليس هو أيضا هروبا عنه، بل هو مزاوجة بينهما، وإنما التمكن حاصل في التعبير عن الفكرة وما تدل عليه من صدق ومعاناة، والعبرة إذاً بما يقدمه النص من صورة ومعنى، بشكله العمودي أو بشكل آخر من أشكال التحديث الشعري:

مخطئ من ظن أن الشعر أوزان فحسب

مثله من قد أزاح الوزن عجزا وهرب

إنه الشعر مزاج عبقري و عجب

نابع من صلب روح بالمعاناة انسكب

فسرى بالخلد وحيا راق في دنيا الأدب

والشعر لديه سواء بشكله القديم أو الجديد لا يكون شعرا إلا إذا انطلق من الأعماق، وجماله في كليهما، إذا تمثلا الإحساس جيدا:

فقوام الشعر إيقاع قديم أو جديد
وفق ما يمليه غور النفس إحساس المريد
هو ذا الشعر شعور و نظام ما يفيد
همزة الوصل جمال في طليق و عتيد
بين أصل وحديث يستوي الشعر المجيد

وهو في تنظيره هذا مدافع عن الشعر الجميل شكلا ومضمونا، بلغة رقيقة هامسة، ووعي صريح بوظيفة الشعر في مسار الحياة، وهي قراءة نقدية في قالب شعري تحمل روح المحبة والولاء والدفاع عن الشعر، كي يبقى ذلك الجمال الذي ترتاح له النفوس، والروح التي تنعش معنى الوجود.

وقد تغلبت طبيعته العاطفية فظهر في هذا النص الذي نعتبره وجدانيا يتقد محبة للفن وللشعر، مما يؤكد ما ذهبنا إليه سابقا أن الشاعر المعاصر في غرداية كان إذا أراد أن يبرز عواطفه الذاتية فإنه لا ينحاز لشخص ما، بقدر ما ينحاز للفكرة أو الوطن، فحبه يخضع للحب العام الذي فرضته الطبيعة المحافظة في ربوع الجنوب، والتي تجعل الشاعر يُخضع عواطفه للذات الجماعية ليسير على نسق الأعراف وما اتفق عليه من شؤون الحياة، وإذا كان هنالك صوت شاعر فرضت عليه ظروفه أن يتغنى بعشقه أو يتغزل، فإنه يلمح إلى ذلك بكثير من التخفي وراء الرمز للتعبير عن جملة من معاناته.

ولا نغادر هذا الحيز لنؤكد أن رومانسية ووجدانية الشعراء المعاصرين في غرداية كانت بعيدة عن الانطوائية والكآبة في عمومها، فتغنوا بعواطفهم لوطنهم الجزائر كما فعل محمد ناصر، وعبد القادر اجقاوة، أو بمآثر محلية في الجنوب مثلما أدلى به عمر هيبه، أو بموقف إنساني أو فني كما كان الشأن عند الشاعر أحمد الأمين، من خلال النماذج التي استشهدنا بها سابقا.

3/ الاتجاه الجديد (شعر التفعيلة):

دأب شعراء منطقة غرداية على غرار شعراء الجنوب في المحافظة على الموروث الشعري بطريقته العمودية عبر جميع مراحل الفترة المعاصرة، وهو أمر يدخل في التركيبة النفسية والاجتماعية المحلية، إلا أن ذلك لا يعدم فكرة حضور ما يصطلح عليه بشعر التفعيلة، أو الشعر الحر، هذا النمط الشعري الحديث الذي، لا يزال يحضر بصورة محتشمة عند قليل من الشعراء أمثال محمد ناصر، عبد القادر اجقاوة، بكير بوراس، محمد الفضيل اجقاوة، فإذا كان جل الباحثين الجزائريين يحصرون ريادة هذا النوع من التشكيل الشعري في أبي القاسم سعد الله، ومبارك جلواح، وصالح باوية، فإن أول من طرق هذا النوع بمنطقة غرداية هو الشاعر محمد ناصر بقصيدته الموسومة " إلى راعي البقر " مهداة إلى جونسون الأمريكي المنشورة بجريدة الشعب بتاريخ 20 مارس 1968م، وهي قصيدة مساندة لكفاح الشعب الفيتنامي الذي لم تقهره طائرات الأمريكان، وهو بذلك يبين موقفا إنسانيا رائعا إذ يقول[22]:

يا راعي البقرْ

يا قاطع الطريق

يا ملطخ اليدين من دم البشرْ

وقعت في المضيقْ

وانقض فوقك الثوار كالقدرْ

تفجروا في ثورة الحريقْ

تسللوا في خفة الشررْ

وقبل أن تفيقْ

من نومك العميقْ

مما يتبين من خلال هذا المقطع الشعري من القصيدة أن الشاعر محمد ناصر طرق موضوعا إنسانيا وثوريا بمساندته للشعب الفيتنامي، ولكن بتشكيل حديث، وهي الفترة التي لا يزال الشعراء فيها يعيشون على وقع ذكرى الثورة الجزائرية، و الثورة عندهم متواصلة في بعض أرجاء المعمورة؛ فلذلك نرى الشعراء الجزائريين يرصدون مواقفها، ويتفاعلون مع أحداثها؛ لأنها تنسجم مع السلوك الإنساني السوي الذي يتأثر بمعاناة الإنسانية أينما وجدت، على أنها محاولات أولى لجيل سبق وأن تمرس كتابة النص العمودي، فإنه لا يزال يرسم خطاه في إطار شكل التفعيلة الجديد.

إلاَّ أن الذي يجب أن نؤكد عليه في هذه التجربة بربوع غردايـة أنها تجربة محتشمة جدا بالقياس إلى ما هو عليه الشعر العمودي، أما إذا حددنا مضامين هذا الاتجاه الجديد لدى شعراء غردايـة فإنها لا تخرج في كثيرها عن الثورية والوطنية والقومية بشكل واضح والذاتية منها في إطار محدود، والنص السابق لمحمد ناصر صورة من صور الشعر الثوري ذي البعد الإنساني، على أن التجارب الذاتية أو الحب بمعناه الحقيقي فقد بخل به عنا الشعراء، إذ ذوبوا المشاعر الذاتية في المشاعر العامة، وحرمونا بذلك من نصوص منعشة، إلا أن الشاعر محمد الفضيل اجقاوة هو الشاعر الوحيد في هذا الحيز الذي أبان عن مقدرة عالية واستفادة بالغة من تجارب الشعراء العرب الأوائل من أمثال: بدر شاكر السياب، نازك الملائكة، عبد الوهاب البياتي، محمود درويش، عز الدين المناصرة، أبي القاسم سعد الله وأبي القاسم خمار وغيرهم، وهو الشاعر الوحيد الذي ظهرت النزعة الذاتية متجلية في شعره بشكل صريح ومستفيض، ففي ديوانه " عندما تبعث الكلمات" تجربة شعرية رائدة لشاعر يطلع نجمه من الجنوب، ومن متليلي بالتحديد، يعلن في إحدى قصائده بروح شفافة بفيض الشوق إلى امرأة لم يصرح باسمها، ولكنه أهدى إليها كثيرا من قصائد الديوان، متسائلا في حرقة الباحث عن الحرية، وعن ضرورة الغوص في عوالم الحبيبة التي يحاصرها الزمان والمكان، ومع ذلك فهما (الشاعر وحبيبته) لا يفرطان في المحبة والشوق وصدق الانتماء وعزة النفس، وهو القائل قي قصيدة موسومة ب " عندما نعود" التي

أهداها حسب ما ورد في الاستهلال بقوله: "إلى امرأة أدركت أن للقصيدة قراءة أخرى"[23]:

من نحن يا صغيرتي

وأي أرض هذه الأرض التي

نعيش – رغم أنفنا – في حضنها؟

أحس أنَّا نازحان هاهنا

من تربة معجونة بالحب ...

بالشوق بصدق الانتماء

معجونة بعزة النفس

برغبة الطيور في عناقات الفضاء

وعلى هذا النسق من البوح والرحلة في عالم الشوق إلى الآخر، نجده يصرح بأساه ويأسه واغترابه في قصائد بعناوين مختلفة لكنها ذات منحنى نفسي واحد، يبرز خضوع الشاعر لذاتية صريحة ووجدانية كثيرا ما تنزع إلى النكوص، ومقاومة الواقع المرير الذي يتطلب جرأة من الشاعر كي يستطيع أن يمرر رسائل التفاؤل التي يحتاجها المتلقي في مساره الحيوي، ومن بعض عناوين قصائده في هذا الإطار: "رحلة الشرود إلى الأعماق"، "بكاء شاعر"،"عيناك عشق تجل وانصهار"، "تفثات الأسى والاغتراب"، "هوية"، "أرض الآلهة"، "أشجان الهجر"، فهي كما نلاحظ عناوين مشحونة بعوالم البحث عن الذات المفقودة في خضم الراهن المحاصر بكل أشكال القهر.

وقد أظهرت هذه القصائد مشروع شاعر واعد من غرايةلم تنصفه القراءات النقدية التي ما فتئت تبخل عنا في متابعة المشهد الشعري بالجزائر العميقة، ولكنه ظل يمتعنا بلغة رقيقة هامسة مليئة بحرارة الأشواق نحو واقع

أكثر واقعية وإنصافا، على أننا نؤكد مرة أخرى أن تجربة شعر التفعيلة التي وجدناها في بعض الدواوين المنشورة في السنوات الأخيرة لم تكن كلها تحمل معطيات الحداثة الشعرية في الخطاب الشعري المعاصر لغة وصورة وإيقاعا، وإنما هي نسخ لقصائد عمودية تم تفكيكها لتطعم دواوين الشعراء بنمط شعري يشفع لديهم عند النقاد إن وجدوا، لكنها في الأصل قصائد عمودية في لباس تفعيلي مثلما نجد ذلك عند الشاعر سليمان دواق، عمر هيبه، أحمد بن الصغير، أحمد الأمين، وغيرهم، وتظل تجربة محمد الفضيل اجقاوة أعمق المحاولات الشعرية لكتابة نص التفعيلة بجدارة الشعراء الجزائريين المؤسسين لها في منظومة الشعر الجزائري المعاصر.

4/ قصيدة النثر:

قصيدة النثر نمط شعري معاصر، لا يزال يبحث في كيفية الحضور في منظومة شعرية لم تستطع أن تتخلى عن حسها الإيقاعي الموروث الذي تربى على الإيقاع الخليلي، فنراها "ترتكز على تعطيل المعامل الأساسي في التعبير الشعري وهو الأوزان العروضية، دون أن تشل بقية إمكانات التعبير في أبنيتها التخييلية والرمزية"[24]، ويُعتبر هذا النوع صورة حداثية للتقريب بين قطبي الأدب: الشعر والنثر، إلا أنها تمتلك حسب ما يذهب إليه الدكتور صلاح فضل "الكفاءة في تشغيل بقية درجات السلم تعويضا لتعطيل الدرجة الإيقاعية الأمر الذي يجعلها تتميز بنسبة عالية من الانحراف النحوي والكثافة والتشتت الناجم أساسا عن انفراط العقد الموسيقي"[25]، وقد عَرَفَهَا الأدباء العرب عن طريق أمين الريحاني وجبران خليل جبران والرافعي في مطلع القرن العشرين دون أن تكون مقصودة لذاتها، لكنها كانت تحمل في نفوس الأدباء شيئا ما من الخروج عن النمطية المعهودة، وبحثا عن قول شيء بأساليب أخرى تحدث الدهشة وتقفز على المألوف، ورغم ما قيل عن قصيدة النثر " إلا أن الكثير منها ظل يحوم حول الروح الغنائية وشيء من التفاعيل وكأنه يريد قطع أوصال النص النثري بتدفقات صوتية موحية بوجود شيء من الشعر الذي اعتدنا سماعه في التفعيلات"[26] ولابد من الإشارة أن مثل هذه النصوص الشعرية بالجزائر يمارسها بعض الشعراء من أمثال: ربيعة جلطي، زينب الأعوج، وغيرهما،

إلا أن هذه التجربة بغرداية لا تزال غريبة، ومن الصعوبة أن ندعي اختراق ملامح المحافظة فيها بسهولة، ناهيك أن نؤسس لنمط نثري ونقول إنه شعر، اللهم إلا من استطاع أن يمتلك أدواته الفنية بقدرات عالية ليقدم نصا برؤية متكاملة لمفهوم قصيدة النثر، مع ذلك يمكن أن نقول بأن غرداية فتحت هذا المجال عن طريق شاعرين؛ وهما عبيدلي عبد اللطيف في ديوانه "الشيطان الأخير"، وأحمد العربي الأخضري في ديوانه "انكسارات على رصيف الزمن"، وهي نصوص تختزن طاقات إيقاعية داخلية تنبئ عن حس فني يطل على الحداثة الشعرية يحكمها صدقها الفني وشعورها الفاعل المؤثر في المتلقي، مع أمل تطويرها، والاجتهاد في الغوص في أعماقها.

لقد استطاع الشاعر عبيدلي عبد اللطيف من خلال نصوصه أن يقترح نصا شعريا يكتنز صدق المشاعر، وإيقاعات تنساب على وزن القلب، في جو (نزاري) مهوس بالانصهار في عوالم الآخر المؤسسة على الحب، دون أن يفقد هويته الحضارية، وهو يمارس هذا النمط من النصوص التي تجمع بين غنائية الشعر وفاعلية الفكرة في النثر، وعناوينه توحي بذلك؛ إذ أنه لا يريد أن يخرج من فلك الشعر فنراه يقترح نصوصا بعناوين مثيرة مثل: "أرجوك لا تكن شاعرا"،" تشريح معاناة شاعر عربي"، "المتنبي يناشدكم"، "بكائية على رصيف الزمن العربي"،"تمردي"، "سفر في عمق الهوس"، وها هو في نصه"بكائية على رصيف الزمن العربي" يصرح بمعاناته، وهو الذي لم يفهم تفاصيل المدن العربية، ولا يعرف هو بالذات مدينته، فكلها مدن احتواها التسلط الصهيوني من جهة، واحتوتها الأحزان العربية من جهة أخراة[27]:

أنا الآن..جئت أحمل موتي

على كتفي

فدعوني ..سادتي .. أرحلْ عبر مسافات الزمن

لأكتب .. عن بلدان .. كل ثناياها

ألوان من المحن

كل شوارعها .. علامات تعجُّبْ

تسأل من؟

من ذا الذي يشكو حزنه

ويسأل المرافئ .. وكل السفن

عن مدن عربية .. زوَّر.. فيها شارون

اسم الوطن؟

لأنهم من صبِا التاريخ ..درسوا

إن لم يكن لك وطن

فأبحث حولك .. عن وطن

وأبحث فيك عن وطن

فهذي .. قلوبنا .. يا ألمي

تجذَّر .. فيها كل الشجن

كم سألت أمي

ما اسم مدينتنا؟

وبالتالي فقد ضاعت الهوية عند الشاعر، وهو أقسى ما يمكن أن يصادفه أي إنسان في أي مكان، ففي هذا السياق يبدو الشاعر عبد اللطيف عبيدلي أمام ثلاثية تفرضها قصيدة النثر، فهي قصيدة ابتعدت عن التفسير والإطالة والتعليل، إنها تعتمد الاقتصاد بشكل واضح، ويعتبر النقاد أن ذلك من أهم خواص قصيدة النثر ومنبع شعريتها[28]، مع ما فيها من تعطيل للوزن العروضي المعتاد، وهي على كل تجربة تحتاج إلى كثير من التأصيل المعرفي والفني، كي تنافس القصيدة بالمعنى الشعري.

أما تجربة أحمد العربي الأخضري في ديوانه " انكسارات على رصيف الزمن " تنبئ عن موقف فني بإمكانيات شعرية صاغها في قالب نثري ضمن ما يطلق عليه بقصيدة النثر، وهي نصوص قدم لها الشاعر محمد الأخضر عبد القادر السائحي بقوله: " إن اللوحات الخمسة عشر الدائرة في فلك توهان الشباب العربي بين دوافعه الوطنية وتطلعاته الذاتية تفتح لنا شهية التمتع بصور تتعارض وتتناقض مع بعضها البعض أحيانا، ومع منطق الأساليب الشعرية الكلاسيكية في جميع الأحيان"[29].

وفي " لحظة صدفة " ينطلق من معاناة شاب يبحث عن وجوده في عيون امرأة مارست كل طقوس الكلام، ثم تركته يتلظى في لهيب الكلمات، وانتهى اللقاء على المحبة، وترك النص مفتوحا على كل الاحتمالات، والنص صورة لواقع الشباب الجزائري وواقع أي شاب، إذ اختزن كثيرا من الانفعالات التي تعبر عن التيه الذي يحاصر الشباب الذين لم يحددوا أهدافهم في الحياة، فهم يتركون الأمور للصدفة، وهي التي عنون بها الشاعر نصه[30]:

جلست تجدد النفس

فاض القلب عطرا وزهرا

تحدثنا ساعة

عن قرف العطلة

وحسابات العملة

والأحلام الجامحة

توقفت لحظة

ابتسمت، احترقت

سألت فهمت ما فهمت

دردشت، انطلقت،

ارتاحت، ضجرت

ولم تعترف

أن العينين الخضراوين

برعما في قلبها

فقالت الانفعالات،

النظرات، الهمهمات

وانطلقت في عروقه

انتشى بدفء بلسمها

وافترقا على المحبة

هو سلوك شعري خرج عن المألوف والسائد في منطقة غردايـة؛ فهو لم يجدد في النمط الشعري فحسب بل استطاع أن يخترق جدار البوح عن الذات المحترقة بحثا عن أمل ما يقرؤه في عيني محدثته الخضراوين، وهو اختراق لطقوس الإرث الاجتماعي الذي كان يقيد الشاعر فنرى الأخضري في نصه هذا ينتصر لذاته ليحقق سبقا عاطفيا كما حقق سبقا فنيا، لكنه بقي في دائرة المعجم القديم الذي لم يستطع من خلاله أن يرقى إلى لغة فيها فيوضا تتناسب والموقف العاطفي الذي يعيشه، فالأفعال: دردش – ضجر، والأسماء: القرف– الحسابات– العملة لم تسعفه أن يرقى إلى مستوى الحدث الرومانسي الذي وجد نفسه أسيرا فيه برغبته، وفي لقاء خاطف بالتي سرعان ما انصرفت دون أن تحدد موعد آخر للقاء، فضاع الشاعر في ثنايا عينين، وضاعت معه اللغة الرقيقة التي عادة ما تؤسس لمثل هذه الأجواء، وبهذا نخلص إلى أن الأخضري يحتاج إلى تطوير أدواته الفنية كي يجمع بين حداثة

ما ذهب إليه بأساليب حداثية مرافقة حتى لا ينفصل شكل النص عن مضمونه.

ونشير إلى أن الدكتور عبد الكاظم العبودي علَّق بشكل نقدي على راهنية الشعر الجزائري، وهو حكم ينطبق على شعراء غردايـة أيضا بقوله: " إن النزعة الجديدة في موجة شعر الشباب الجزائري كانت عامة وفيها كثير من الإجماع العام والتفرد أيضا، وهي بالإجمال تؤشر إلى الكثير من التراجع عن التقليد والعودة إلى الشعور والذات، وهي إحدى أبرز سمات الموجة الشعرية والأدبية الراهنة "[31]، وهي في نظرنا نتاج ظروف محلية راهنة على النقاد أن يدققوا النظر فيها لتكون هذه المتغيرات نتاجا محليا، وليست بالضرورة ظروفا مرتبطة بملابسات نستوردها من خارج واقعنا العربي والإسلامي.

خاتمة:

إن الشعر المعاصر في غرداية مرَّ بأربع تجارب من كلاسيكية ورومانسية وشعر التفعيلة وقصيدة النثر مع الاختلاف الموجود بين هذه الاتجاهات، وقد بذل الشعراء فيها جهودا فنية تحتاج إلى متابعات نقدية تلتزم بالبحث عنها في الجزائر العميقة حتى تتشكل الصورة الفنية المثلى لهذه الاتجاهات، وعلى النقاد والجامعات أن تأخذ على عاتقها هذه المسؤولية ليتشكل لدينا ديوان شعري يرسم كل ملامح الجزائريين بعيدا عن النظرة الانتقائية والجهوية والعلاقات الخارجة عن النظر الفني والنقدي، وما اقتصار حديثنا على منطقة غرداية إلا محاولة بسيطة، لكنها تهدف بإخلاص إلى أن يكون مثل هذا الجهد سائدا في كل ربوع الجزائر، وما على الإعلام إلا أن يبدل جهودا في هذا السياق، دون أن ننسى التذكير بدور مؤسسة الإذاعة الوطنية بفرعها الجهوي بإذاعة غرداية في محاولة إسماع أصوات شعرية كثيرة بالمنطقة، كما ننوه بالدور الذي قام به الدكتور عبد الكاظم العبودي عندما حاول أن يعرف بأسماء شعرية من غرداية من خلال كتابه (أم المعارك في ديوان الشعر الجزائري)؛ إذ جمع فيه قصائد لشعراء جزائريين أنشدوا العراق قصائد خالدة في محنتها، فنشر لصالح خباشة قصيدتين:"تيجان

الخزي" و" أخي في العراق"، ونشر لأحمد الأمين ثلاث قصائد:" آية الخلد العراق"،"جرح جديد للعروبة" و"من وحي العراق"، ونشر للشاعر بوعبدلي محمد الطيب قصيدتين: " صوت الحق من الجزائر " و " توكل لا تواكل"، كما حاول أن يقيم دراسة نقدية بعنوان: "من تجليات الإبداع الأدبي بوادي ميزاب في الحقل الشعري المعاصر"؛ إذ عرج فيه على شعراء من وادي ميزاب معلقا على إسهاماتهم الشعرية فقرأ ديوان " دموع الفرح " للشاعر عبد الوهاب فخار الصادر باللغة الميزابية، كما عرَّج على قراءة ديوان: " متى الصبح يا وطني " للشاعر مسعود خرازي.

وعلى الشعراء أنفسهم أن يعملوا على بعث نشاطهم بعدم انكفائهم على ذواتهم حتى تتظافر الجهود نحو خدمة الأدب الجزائري الغني بإبداعاته الأدبية، حتى تتشكل الصورة الأدبية للجيل المعاصر بمختلف اتجاهاته ومناطقه، وهي في الأخير خدمة جليلة تقدم للأدب الجزائري عامة.

وكثيرة هي المخطوطات الشعرية التي تنتظر أيادي تخرجها من أدراجها طباعة ودراسة وتحقيقا، ولعلي أختم بذكر بعض الأسماء لشعراء معاصرين لم تتعرض لهم المداخلة ولم ينشروا أشعارهم بَعْدُ نظرا لمعوقات كثيرة وهم: إبراهيم بن إسماعيل فخار، عمر بن صالح داودي، محمد ترشين، بكير بضليس، مسعود الجعدي، عبد الرحمن ابن سانية، منصور زيطة، عبد العالي لقدوعي، مصطفى بن بكير حواش، مصطفى باجو، بوعلام بوعامر، صالح بن الحاج عيسى الحاج عيسى، أحمد بن محمد ابن أيوب، يوسف لعساكر، قرقر عيسى بن سليمان، أحمد بن إبراهيم موسى المال، إدريس عمر علواني، وغيرهم، ونفس الشيء يقال عن الإبداع الشعري في غرداية بنوعيه الآخرين الأمازيغي والملحون، فما على الدارسين والباحثين إلا أن يحجوا صوبها لدراسة المأثور الشعري بكل اللغات في هذه الربوع.

الإحالات:

1) ينظر: د/ محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م، ص16.
2) د/ أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب الجزائر، 2007م، ص42.
3) د/ عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2009م، ص 76.
4) د/ محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 277.
5) ينظر: المرجع نفسه، ص 69.
6) حمو بن محمد عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، (د.ط)، دار البعث، قسنطينة، ج4، (د.ت)، ص52.
7) الشمال الإفريقي.
8) يسجن: مدينة الشاعر بولاية غرداية، بها ولد سنة 1908م ودفن بها بعد وفاته في تونس سنة 1977م.
9) أبو الحسن علي بن صالح، مآسي وأين الآسي؟، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، ص77.
10) سليمان بن عمر دواق، نفحات ولفحات، جمعية التراث القرارة، غرداية، الجزائر، 2009م، ص44.
11) الموسوعة الشعرية.
12) غزيل بلقاسم بن محمد، إطلالة المجد، مداد للطباعة والنشر، متليلي، غرداية، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص 14.
13) د/ محمد ناصر، الأعمال الشعرية الكاملة، ط1، دار الريام، المحمدية، الجزائر، 1431هـ/2010م، ص 45.
14) د/ بدوي طبانة، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م، ص 305.
15) عبد القادر اجقاوة، عذابات الأمل، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1404هـ/1984م، ص75.

16) الإياة: أيا وأياء وأياة وإياة الشمسِ: نورها وحسنها، إياة الشمس: دارتها كالهالة للقمر.

17) في البيت كسر عروضي لا يستقيم مع المتقارب الذي بنى عليه قصيدته.

18) الموسوعة الشعرية.

19) جمعية تربوية تعليمية، تأسست سنة 1944م ببنورة، إحدى مدن وادي ميزاب.

20) عمر بن باحمد هيبه، حديث القرى، المطبعة العربية، غرداية، 1429هـ/2008م، ص 19.

21) أحمد الأمين، مدوا الأيدي نتصالح (ديوان مخطوط قيد الطبع).

22) د/ محمد ناصر، الأعمال الشعرية الكاملة، ص89.

23) محمد الفضيل اجقاوة، عندما تُبعث الكلمات، منشورات التبيين، (الجاحظية)، الجزائر، 2001م، ص06.

24) د/ صلاح فضل، نقد الشعر (أساليب الشعرية المعاصرة)، ج2، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2009م – 2010م، ص 297.

25) المرجع نفسه، ص 297.

26) د/ عبد الكاظم العبودي، راهنية الجيل الشعري الجديد في الجزائر (مخطوط)، ص 13.

27) عبيدلي عبد اللطيف، الشيطان الأخير، مداد للطباعة والنشر، متليلي، غرداية، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص68.

28) ينظر: د/ صلاح فضل، نقد الشعر (أساليب الشعرية المعاصرة)، ص 301.

29) أحمد العربي الأخضري، انكسارات على رصيف الزمن، غرداية، ص 03.

30) المصدر نفسه، ص 33.

31) د/ عبد الكاظم العبودي، راهنية الجيل الشعري الجديد في الجزائر (مخطوط)، ص 10.